

الرثاء بين اجترار الألم واجتلاب المواساة

الرثاء فن نبيل ، وليس بفن شعري فائض عن الحاجة ، وخال من الجماليات حتى يكون المحرك له الاستكتاب أو طلب الزيادة في رصيد من كتب في مناسبة ما مع نبل ذلك كمطلب وبعده عن النجاعة كنتيجة .

إنه الفن الشعري الذي يجعلك تتنهد وقد أفرغت صدرك من ثقل الآهات الجاثمة عليه ، والحزن الذي أخرجت بدفعاته من صدرك لظى الفقد .

إنه أسمى بكثير من أن توضع قصيدتك أو نلصق كرقم من أرقام الراحلين تبتعد في روحها عن استشعار مواطن التحزين وتهيج المصاب ، بل وتعيدك لأتون الألم خالي الوفاض من قرص المواساة التي تعادل هنا الشعر الحقيقي ونموذج الرثاء الأولى.

لا أحتاج من يذكرني

- كمفجوع- بأني افتقدت علما من الأعلام ، أو حبيبا من الأحبة ، فهل نسيت معاناتي حتى أحتاج تجديدها؟!

إن فعل ذلك لهو أشبه بأن أخرجك من بئر آه ، لأرديك في بئر آخر من الهم وتجديد الشكل ، وهذا ما يحسن أن نبتعد عنه في شعر الرثاء .

إن شعر الرثاء في سموه يجعلك تخرج من حزنك الذي كنت فيه ذاхла ، ويدخلك عبر قنطرة الكلمات لجنة اللغة ودهشة الصور ، وتلك الشبهة التي تتفاعل معها بشيء من انتقال الإثر الإيجابي ، وقد أحسست بالمواساة واكتمال نصايها من الراجي ، لأنه قد أتحفتك بتحفته البديعة .

إن الإبداع في الرثاء يكمن في تسلية المصاب والمفجوع بإخراجه من ذهول الألم وغشاوة الوجد إلى دفء الاحتضان وصدق المواساة في إربات الأكف فوق المتون الملتهبة .

ولا نعني بذلك ألا نبكي أو تنساب أدمعنا تلقائيا لذلك ، وأن نعرف مكانة هذا المفقود ، أو نتفاعل كما يتفاعل المصاب في مصيبتة التفاعل الفطري ، بل يدفعنا هذا الرثاء لإكمال قيم المرثي ، ونسير بما سار جماله وكماله به وعليه .

إن شعر الرثاء ليس للموتى بل للأحياء ، فتأمل .!

وهنا حتى أعظم قصيدة الرثاء أستحضر مقولة الشاعر صلاح بن هندي: " قصيدة الرثاء كقبلة الحياة ربما يعود بها الميت إلى الحياة من جديد".